المدارس الأيوبية ومكتباتها ونظامها الإداري والمالي في مدينة حلب

(٥٨٩- ٦٥٨هـ/ ١١٩٣- ١٢٦٠م)

د. وليد عبد الرحمن الأخرس(*)

يعتبر بناء المدارس في العصر السلجوقي نقلة نوعية في المؤسسة التعليمية وأثرها على التطور الحضاري وقد ازداد بناء المدارس في العصور اللاحقة، وكان الأيوبيون من المهتمين بهذه المنشآت التعليمية وقد حظيت مدن بلاد الشام ومصر بالعديد من هذه المدارس وخاصة مدينة حلب، وقد كانت لها أهداف كثيرة، بالإضافة إلى وظيفتها التعليمية في دعم مذهب معين والدعوة له، تخليداً للذكر، وتدريس علوم دنيوية إلى جانب العلوم الدينية والتماس الخير والثواب وازدياد طلاب العلم.

وسوف نقوم بهذا البحث بدراسة المدارس الأيوبية في مدينة من الناحية التاريخية، ومكتبات هذه المدارس ونظام هذه المكتبات، بالإضافة إلى نظامها الإداري من موظفين ومدرسين وفنيين، وأيضاً النظام المالي لهذه المدارس وخاصة الوقف.

أولاً: المدارس الأيوبية في مدينة حلب: تابع الأيوبيون سياسة أسلافهم من الزنكيين والسلاجقة في بناء المدارس، لدعم الدولة بالكوادر الإدارية، ولمحاربة أصحاب المذهب الشيعي، بالإضافة لإذكاء روح الجهاد وتنشئة الجيل على ثقافة الجهاد للتصدي للخطر الصليبي، وكانت مدينة حلب من المدن التي قام فيها حكم السلالة الأيوبية التي استمرت حتى الغزو المغولي، وكان السلطان الظاهر غازي بن صلاح الدين المؤسس الحقيقي لهذه السلالة، وقد لعب هو وابنه العزيز محمد، وحفيده يوسف الثاني، دوراً كبيراً في بناء المدارس في المدينة، وقد شارك في بناء المدارس – بالإضافة

(*) مدرس بجامعة حلب، بسورية.

إلى السلاطين والأمراء- العلماء مثل ابن شداد، والتجار والعامة، وقد وجد في حلب نوعين من المدارس فقط هما: مدارس أحادية المذهب وهي التي خصصت لتدريس مذهب واحد، ومدارس ثنائية المذهب التي خصصت لتدريس مذهبين معاً، أما المدارس الرباعية التي خصصت لتدريس أربعة مذاهب لم توجد في حلب في العصر الأيوبي، والجدول التالي يوضح عدد المدارس والمذهب الذي خصصت له، وواقفها وتاريخ بنائها.

جدول توضيحي لمدارس حلب في العصر الأيوبي رقم (١)

اسم المدرسة	مكان وتاريخ الوقف أو الإنشاء	سلطان	أمير أو وزير	قضاة	فقيه أو عالم	تجار	خادم أو عتيق	المذهب
الصاحبية	بهاء الدين ابن شداد ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م السفاحية قرب جامع الموازيني			-				شافعية
الهروية	الظاهر غازي ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م جنوبي محلة الفردوس	-						شافعية
الظاهرية البرانية	الملك الظاهر غازي ٦١٠هـ/ ١٢١٣م خارج باب المقام	-						شافعية
الرواحية	محمد بن رواحة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م أول زقاق الزهراوي					-		شافعية
الشرفية	شرف الدين عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي ٦٤٠هـ/ ١٢٤١م شرقي الجامع الأموي الكبير				-			شافعية
البدرية	بدر الدين عتيق عماد						-	شافعية

اسم المدرسة	مكان وتاريخ الوقف أو الإنشاء	سلطان	أمير أو وزير	قضاة	فقيه أو عالم	تجار	خادم أو عتيق	المذهب
	الدين شادي بن صلاح الدين؟ رأس زقاق الزهراوي							
الزيدية الالوحية	إبراهيم، عرف بابن زيد الكيال الحلبي ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م داخل باب إنطاكية				–			شافعية
الفردوس	ضيفة خاتون ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م خارج باب المقام	–						شافعية
البلدقية	حسام الدين بلدق عتيق الظاهر ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م الحاضر قرب الكلاسين		–					شافعية
القيمرية	حسام الدين القيمري ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م ظاهر حلب جوار المقام		–					شافعية
الأنصارية	مجهولة كتب على بابها ٦٠٤هـ/ ١١٩٧م الدحديلة							شافعية
الشاذبختية الجوانية	شاذ بخت الأتابك الهندي عتيق الملك نور الدين الزنكي ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م حي الجلوم وسط سوق الزرب		–					حنفية
الأتابكية الجوانية	عبد الله طغرل شهاب الدين الأتابك ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م محلة باب الحديد		–					–
الجردكية	عز الدين جردك		–					–

اسم المدرسة	مكان وتاريخ الوقف أو الإنشاء	سلطان	أمير أو وزير	قضاة	فقيه أو عالم	تجار	خادم أو عتيق	المذهب
	النوري ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م سوق البلاط							
الطمانية	حسام الدين طمان النووي؟ باب قنسرين بجانب جامع الرومي		–					–
الحسامية	حسام الدين محمود جد ابن الشحنة ٦١٥ أو ٦٢٥هـ/ ١٢١٨ أو ١٢٢٧م غربي القلعة		–					–
الأسدية	بدر الدين عتيق أسد الدين شيركوه ٦٢٣هـ/ ١٢٣٤م مقابل القلعة						–	–
القليجية	محمد بن قليج النووي ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م ملاصقة لدار العدل		–					–
الفطيسية	مسعود بن عز الدين أيبك (فطيس) ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م غربي دار العدل		–					–
الشاذبختية البرانية	شاذ بخت الأتابك الهندي عتيق الملك نور الدين الزنكي ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ظاهر حلب شماليها		–					–
السيفية	سيف الدين علي بن علم الدين بن جندر ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م خارج باب قنسرين		–					–
البلدقية	حسام الدين بلدق عتيق الظاهر ٦٣٥هـ/		–					–

اسم المدرسة	مكان وتاريخ الوقف أو الإنشاء	سلطان	أمير أو وزير	قضاة	فقيه أو عالم	تجار	خادم أو عتيق	المذهب
	١٢٣٧م الحاضر ظاهر حلب							
النقيب	الشريف النقيب عز الدين المرتضى بن أحمد الاسحاقي؟ جبل جو شن			–				–
الدقاقية	علي بن دقاق ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م أو ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م شمال الفيض							–
الجمالية	إقبال الظاهري٦٤١هـ/ ١٢٤٣م خارج باب المقام		–					–
العلائية	علي بن أبي الرجاء شاد ديوان الملكة ضيفة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م خارج الكلاسة		–					–
الكمالية العديمية	مؤرخ حلب كمال الدين ابن العديم ٦٣٧هـ/ ١٢٤١م شرقي حلب			–				–
الأتابكية البرانية	شهاب الدين طغربك الظاهري ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م داخل باب بانقوسا		–					–
مدرسة الجبيل	شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمي ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م داخل باب الحديد				–			شافعية ومالكية
السيفية	سيف الدين علي بن		–					شافعية

اسم المدرسة	مكان وتاريخ الوقف أو الإنشاء	سلطان	أمير أو وزير	قضاة	فقيه أو عالم	تجار	خادم أو عتيق	المذهب
	جندر ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م غربي خندق القلعة							وحنفية
السلطانية	الملك الظاهر غازي ٦١٣هـ/ ١٢١٦م تحت القلعة	-						شافعية وحنفية
السيفية	سيف الدين علي بن جندر؟ تحت القلعة		-					مالكية وحنبلية
الكاملية	مجهول، بين ٦٢٧-٦٣٤هـ/ ١٢٢٩-١٢٣٦م خارج باب المقام	-						مجهولة المذهب
الكريمية	؟ لم تذكر سوى عند هرتزفيليد ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م في باب قنسرين أمام الأسدية							-

يتضح من خلال الجدول السابق أن المدارس غير السلطانية أكثر من المدارس السلطانية في مدينة حلب، وهذا راجع لكثرة الأمراء وكثرة إقطاعاتهم وأيضاً محاولة كل أمير أن يتقرب إلى السلطان والناس من خلال وقف المؤسسات الخيرية ومنها المدارس، لكي يكسبوا رضا السلطان ورضا الناس بعد رضا الله، ولكن على الرغم من قلة المدارس السلطانية فإنها كانت تتميز بضخامتها وتعدد مذاهبها.

ونلاحظ أن الفقهاء في مدينة حلب ساهموا في بناء المدارس، وهذا يعود إلى تشجيع سلاطين الأيوبيين للفقهاء والعلماء وتقريبهم لهم وتوليتهم مناصب عليا في الدولة وإقطاعاتهم الإقطاعات السخية مثل القاضي "بهاء الدين بن شداد" في حلب. وكذلك إسهام التجار في بناء المدارس وقد وجد في حلب مدرسة واحدة، ولاحظنا وجود مدارس بناها عتيق أو خادم في حلب وربما يعود ذلك إلى محاولة رفع شأن أنفسهم. وكذلك وجود مدارس كثيرة للفقهاء في مدينة حلب، وهذا راجع إلى

إدراك الفقهاء والعلماء لدورهم في المجتمع وفي الحياة العلمية والجهادية من خلال الإسهام في بناء المنشآت العلمية التي كان لها هدف آخر غير الهدف العلمي وهو شحذ الهمم وإذكاء روح الجهاد لمواجهة الخطر الصليبي.

ثانياً: مكتبات المدارس: تمثل المكتبة أو "خزانة الكتب" جزءا هاما من الأداة التعليمية في العصر الأيوبي التي تمثلت في المدارس، فلقد حوت أغلب مدارس ذلك العصر خزائن للكتب لتكون عونا للطالب على استيعاب دراسته وخاصة أن الكتب آنذاك كانت تكلف مبالغ باهظة.[١] ووجدت المكتبات قبل المدارس منذ العهد الحمداني[٢] في حلب، أدرك واقفوا المدارس أهمية تزويدها بمكتبات خاصة بها، لأن الكتاب أداة ضرورية في العملية التعليمية لا غنى عنه للمعلم والمتعلّم،[٣] وقد امتازت هذه المكتبات بأنها دسمة وغنية بالكتب، وكانت مدارس حلب تحتوي على مكتبات كبيرة نذكر منها: مكتبة المدرسة الظاهرية، ومكتبة المدرسة الشرفية، فقد حوت مكتبة هذه المدرسة كتب قيمة في كل العلوم ففيها كتب السنة النبوية وتفسير القرآن الكريم، وكتب الفقه، وكتب النحو، فذكر أبو ذر[٤] بعض هذه الكتب "فمن كتبها، كتاب مسند الإمام الشافعي والأم وجميع كتب الشافعي، وكتب الإصحاح كتفسير الثعالبي.... والحاوي الكبير والإبانة والذخائر وكان بها جميع كتب المذاهب، وجميع كتب الغزالي...."، وكذلك مكتبة المدرسة الهروية التي كانت تشتمل على مجموعات هامة من الكتب.[٥] وكان للمكتبة في المدرسة مكان مخصص ولها موظفين خاصين بها. وقلما خلت مدرسة من مدارس بني أيوب التي انتشرت في أرجاء دولتهم من كتبة مزودة بمجموعة صغيرة أو كبيرة من الكتب تبعاً لمكانة المدرسة ومقدار وقفها واهتمام أولي الأمر بها من جهة، وتبعا لما يوقفه واقفها من كتب خاصة به سيما وإن كان الواقف من العلماء والفضلاء مثل بهاء الدين بن شداد والهروي.[٦]

- النظم المكتبية: نتيجة لوجود المكتبات فقد تطلب وجود أنظمة خاصة بالمكتبة مثل: (ترتيب الكتب، الإعارة، الفهرسة والتصنيف) وسوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل.

أ- ترتيب الكتب: إن وجود عدد كبير من الكتب النفسية في المكتبة أدى إلى إيجاد طريقة لترتيبها، فكانوا يضعونها على الأرفف مرتبة منظمة مستلقية الواحد فوق الآخر، ولأن الكتب مكتوبة على أوراق البردي والجلد أو لفافات منها، وقضت طبيعة تلك اللفافات أن توضع في الأرفف بعضها فوق بعض، وكان يعتقد أن وضعها بهذا الشكل يحميها من الأتربة ومن قرّاضة الكتب التي استطاع المسلمون أن يجدوا لها دواء.(٧)

أما عن طريقة ترتيب الكتب بهذا الوضع فإنه لا بد أن يراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وأشرفها ومصنفها وجلالتها فيوضع الأشرف أعلى الكل ثم يراعى التدريج فإذا كان المصحف الكريم من بينها يكون أعلى الكل والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار أو وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس ثم يلي المصحف كتب الحديث الصرف كصحيح سلم، ثم تفسير القرآن الكريم، ثم تفسير الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه، ثم الفقه ثم النحو والصرف ثم أشعار العرب، ثم العروض، فإذا استوى كتابان في فن أعلى أكثرهما قرآناً أو حديثاً فإن استويا فبجلالة المصنف فإن استويا فأقدمهما كتابة أو أكثرهما وقوعاً في أيدي العلماء والصالحين فإن استويا فأصحهما.(٨) ويجب أن ترتب الكتب بحيث لا تضع الكتب ذوات القطع الكبيرة فوق ذوات القطع الصغيرة، وإذا كانت الكتب غير مجلدة وضعت في صندوق في صندوق حجمه حجم كتاب، أو خزانة مفردة له، والرفوف تبقى مفتوحة، والكتب في متناول الجميع، والكل يستطيع الحصول على الكتاب الذي يريده بنفسه، فإن ضلّ الطريق استعان بأحد المناولين في المكتبة، أما الكتب النفسية فقد وضعت في رفوف مغلقة ولا يمكن الحصول عليها إلا بإذن من المشرفين على أمور المكتبة.(٩)

ب- الإعارة: وجد نظام الإعارة في المكتبات الإسلامية بسبب ارتفاع أسعار الكتب، بالإضافة إلى أنه من الممكن أن يكون الكتاب نسخة واحدة فقط. واختلفت شروط الإعارة الخارجية في المكتبة المدرسية حسب شروطها واقفها هناك من اشترط أن تكون دون مقابل وهناك من جعلها بمقابل رهن. ولكن يبدو أن القاعدة هي السماح بإعارة الكتب للأشخاص الموثوقين البحّاثة.(١٠)

وقد ذكر ابن جماعة(١١) عن نظام الإعارة "يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها وكره قوم عاريتها والأول أولى لما فيه من الإعانة على العلم مع ما فيه مطلق العارية من الفضل والأجر".

ج- الفهرسة والتصنيف: الفهرسة "لفظ فارسي معرب"، إذ يعني الفهرست بالفارسية الكتاب الذي يجمع فيه أسماء الكتب، أي "ثبت" أو "قائمة بما تحتويه المكتبة من مؤلفات".(١٢) وقد أدرك مؤسسو المكتبات لإسلامية الأوائل أهمية الفهارس ووظيفتها واهتموا بفهرسة مكتباتهم وتصنيفها وتنظيمها، بحيث يسهل تناولها ويسهل استعمال كتبها على الباحثين والدارسين.(١٣)

وقد عرفت المكتبات المدرسية نظام الفهرسة وعملت به مثل: مكتبة المدرسة الشرفية التي كان لها فهرس يدوّن فيه أسماء الكتب في درج كبير، والمسؤول عن إعداد هذه الفهارس في الغالب الأعم هو الخازن وأحياناً صاحب المكتبة نفسه في حالة الوقف، حيث أن شرف الدين بن العجمي هو الذي أعد فهرس مكتبة مدرسته (الشرفية).(١٤)

أما التصنيف: فقد عرفّه ابن منظور بأنه "تمييز الأشياء بعضها عن بعض" وصنف الشيء ميّز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصنافاً.(١٥) أو تجميع الكتب ذات الموضوع الواحد في مكان واحد تسهيلاً لتناولها من قبل روّاد المكتبة من قراء وباحثين وغيرهم. ويقصد بالتصنيف أيضاً بأنه علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم.(١٦)

- موظفو المكتبة: يوجد في كل مدرسة مكتبة تحتوي على أمهات الكتب من أجل مطالعتها من قبل الطلاب والمدرسين، وقد عرّف لنا السبكي(١٧) خازن الكتب بقوله: "وحق عليه الاحتفاظ لها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضن بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتاب على الأغنياء،

وكثيرا ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته وهو شرط صحيح معتبر فليس للخازن أن يعير إلا برهن".

وكان يشترط في خازن الكتب أن يكون عالماً فقهياً، وكان يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين ويمكنه إرشادهم للمراجع، وكان الناظر يسلم الكتب إلى الخازن ويقوم بمراجعتها ونفض الغبار عنها وترميمها وكان أحياناً يختار من بين الطلبة المترددين على المدرسة، وكان يتسلم الخزانة بحضور الشهود ويعتبر مسؤولا عنها، وقد حددت العطلة التي يحصل عليها مثل الحج أو زيارة الأهل فكان يسمح له بثلاثة أشهر لا غير، ومن غاب عن وظيفته شهرا بغير عذر استبدل بآخر.(١٨)

وكانت مهمة خازن المكتبة الإشراف العلمي والإداري على المكتبة، فهو يمد المكتبة بالكتب الجديدة، ويلاحظ دقة الفهارس وتنظيمها وشمولها، وييسر للقراء عملهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان عادة ما يوجد في المكتبة موظفون آخرون حسب حجم المكتبة، فكان النسّاخون والمجلدون وغيرهم كثير.(١٩)

ثالثاً: التنظيمات الإدارية بالمدارس: كانت المدارس من الداخل منظمة سواء من حيث الوظائف ومن يديرها والطلبة وأقسامها، وكان ينظم هذه المدارس من الداخل موظفون منهم المدرسون والمعيدون والإمام..... وحتى الخدم، ومعلوماتنا عن هذه التنظيمات جاءت من كتب ومصادر لاحقة على هذا العصر منها السبكي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) في كتابه "معيد النعم ومبيد النقم"، و"القلقشندي" (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، وسوف نحاول أن نتعرف على هؤلاء الموظفين من خلالهما وكذلك اعتماداً على بعض الإشارات في المصادر المعاصرة، وكذلك التشابه في الوظائف والموظفين ودورهم في كل من مدارس حلب والقاهرة في العصر الأيوبي، ومن

أهم الوظائف داخل تلك المدارس:

١- المدرس: هو الذي يتصدى لتدريس العلوم التي تُدرس بالمدرسة من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف ونحو ذلك. وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة إذا كررته للحفظ[٢٠] وعلى المُدرس أن يحسن إلقاء الدرس، وتفهيمه للحاضرين. ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقى عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق. وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه، ويخوض بهم عبابه الزاخر.[٢١]

وطرأت على وظيفة التدريس ضوابط وقيود لم تكن موجودة من قبل ذلك، فلم يعد القيان بها مباحاً لكل من يتصدى لها وإنما أصبح المدرس يُعين من قبل السلطان أو الواقف الذي بيده تسيير أمور المدرسة. وكان هؤلاء لا يختارون لهذا المنصب إلا من كان له باع ومكانة علمية مرموقة تؤهله للقيام بهذه المهمة العلمية الجليلة.[٢٢]

وكانت هناك أسباب رفعت من قدر المُدرس، لأن أخذ العلم عن المُدرس نال اهتمام المسلمين الذين كانوا يكرهون أخذه عن الكتب وحدها لدرجة أنهم كانوا يقولون: "أن أعظم البلية هو تشيخ الصحيفة أي الذين تعلموا من الصحف".[٢٣] وبلغ من سُمو مكانة التدريس إنه كان يصدر تقليد أو مرسوم من السلاطين، واعتبرت هي والقضاء من درجة واحدة، وكثيرا ما جمع الشخص الواحد بين الوظيفتين معا، وممن جمع بين الأمرين بهاء "الدين ابن شداد" كان قد جمع بين التدريس والقضاء. وكان يساعد المدرس معيدا أو أكثر وهو الذي يتولى مهمة إعادة الدرس بعد فراغ المدرس منه،[٢٤] وكان مدرس الفقه يتولى أكثر من منصب تدريس في أكثر من مدرسة، فيدرس في واحدة ويستخدم من ينوب عنه في التدريس في الأخريات التي عقدت مشيخة تدريسها باسمه، وكان اللفظ الاصطلاحي لمن يقوم بالتدريس نيابة عن مدرس الفقه هو نائب المدرس. وتسمى وظيفة نيابة التدريس وكان بعض المدرسين يستخدم نواباً يحلّقون مكانه خاصة في المدارس الواقعة في المدن المختلفة، ويدفع له مبلغ يتم الاتفاق عليه.[٢٥]

واختلفت رواتب المدرسين في حلب كلٌّ حسب وقف المدرسة ونوع المدرسة إن كانت سلطانية كان مرتبه عالياً، وإن كانت غير سلطانية كانت المرتبات غير مستقرة، وفي العهد الأيوبي لم يعد هناك مستوى منتظم لمرتبات المدرسين، بل أصبحت هذه المرتبات تتأثر تأثراً واضحاً بظروف متعددة، كمقدار الوقف على المدرسة، ومكانة المُدرس وسمعته، ثم تأثرت المرتبات بشكل خاص بالأخلاق التي اضطرب مستواها في هذه الفترة، فإذا كان ولي الأمر كريماً أو عنيفاً أغدق على المدرسين وإذا كان شحيحاً أو شرهاً قل المرتب الذي يمنحه للمدرسين مهما كان ريع الوقف أو شرط الواقف وأيّاً كان مركز المدرس.[٢٦]

ونستطيع القول بأن المدرس كان يتمتع بمكانة مرموقة ويتقاضى راتبا سخياً في معظم المدارس وكانت مهمة التدريس لها مكانتها ويأتي المدرس على رأس الهرم في المدارس بعد ناظر الوقف، وكثيراً ما كان المُدرس هو الذي يتولى مهمة ناظر الوقف، وكانت مهمة المدرس محصورة فيمن يدرس الفقه. أما النحو والحديث فكان يتولى تدريسهما شيخ يطلق عليه شيخ الحديث وشيخ النحو وشيخ الطب وشيخ الفرائض.[٢٧]

٢- المعيد: يلي المدرس رتبة وعليه إذا ألقى المُدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه،[٢٨] وكذلك عليه قدر زائد من سماع الدرس من تفهيم بعش الطلبة. ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة.[٢٩] ويكون المعيد عادة أكبر من الطلبة ويقوم برح ما صعب على الطلبة فهمه.[٣٠] وفي المدرسة الشرفية أعاد فيها عشرة معيدين، وحدث ذلك في المدرسة الصاحبية عندما عُين بهاء الدين بن شداد بعد أن طعن بالسن وضعف عن الحركة (رتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الإعادة).[٣١] وبسبب اختلاق المستوى العلمي للمدارس فقد كان المعيد مدرساً في مدرسة ومعيدا في أخرى، وهذا يدل على علو مكانة المعيد في المستوى الثقافي، بحيث لا تقل فيها وظيفة المعيد عن وظيفة المدارس في المدارس الأخرى، وأحيانا قد يشتغل الشخص الواحد الوظيفتين معاً.[٣٢] وأحياناً كانت هذه الوظيفة تسد العجز الذي كانت تواجهه بعض المدارس من جراء نقص المدرسين.[٣٣]

وليس معنى ذلك أن المعيد كان يبقى في تلك الوظيفة طوال حياته بل أننا لاحظنا كثير من المدرسين بدؤوا أول ما بدؤوا بالإعادة لأحد المدرسين ثم استقلوا بعد ذلك بالتدريس. ومعنى ذلك أن الإعادة بالمدارس كانت وظيفة محددة من ناحية العدد في أي مدرسة من المدارس بحسب ما تقضي بذلك شروط وقفها، وكذلك أيضاً كان التدريس. فلا يصح أن يرقى معيداً مهما طالت مدة إقامته بالمدرسة إلى درجة مدرس بها أو بغيرها من المدارس إلا في حالة خلو ذلك المنصب ممن يشغله مع مراعاة أن يكون موافقا لبقية شروط الواقف.(٣٤)

٣- الإمام: هذه الوظيفة تعني تعيين شخص يتولى إمامة جماعة المدرسة في الصلاة وقد يقوم بذلك أحد المدرسين في المدارس. وكان على متولي وظيفة الإمام "أن يخلص في صلاته، ويجأر في دعائه، ويضرع في ابتهاله، ويحسن طهارته وقراءته، ويحضر في أول الوقت، فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة وإلا انتظر الجمع ما لم يُفحِش الانتظار، ومن حقه النصح للمؤتمين وبالجملة ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل ما يطيقه من الأحوال".(٣٥) وقد يشترط واقف المدرسة شروطاً في الإمام مثل واقف المدرسة السلطانية في حلب الذي اشترط في النص التأسيسي للمدرسة ما نصه: "...وشرط فيها أثابه الله تعالى.... والإمام للصلاة في مسجدها شافعي المذهب....).(٣٦)

٤- القارئ: وهو من موظفي المدارس الأيوبية وهو الذي يقرأ القرآن داخل المدرسة.(٣٧) وأورد السبكي ثلاثة من الوظائف التي تتعلق بقراءة القرآن الكريم داخل المدرسة: قارئ العشر وهو الذي ينبغي عليه أن يقدم قراءة العشر وذلك قبل الدرس، والقراء الذين كانوا يقرؤون بالألحان وهم الذين عليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أُنزل بلفظ بَين، وقارئ الكرسي: وهو الذي يجلس على كرسي يقرأ على العامة شيئاً من الحديث والتفسير.(٣٨) وهذا القارئ لا يخرج عن احتمالين فإما أن يكون رئيسا أو شيخا لمجموعة قراء السبع أو أن يكون صاحب وظيفة مستقلة بذاتها لا دخل له بهؤلاء القراء وخلاصة القول أن القراء سواءً أكانوا مجموعة أشخاص، أم شخص بمفرده كانوا أحد أعضاء السلك الوظيفي في المدرسة الأيوبية.(٣٩)

٥- المُؤذن: فعلية معرفة الوقت، وإبلاغ الصوت، ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول الوقت. ولذلك يُسن للصبح مؤذنان.[٤٠] وقد يحدد الواقف مذهب المؤذن الذي يؤذن في مدرسته، وذلك مثل واقف المدرسة السلطانية في حلب الذي اشترط أن يكون المؤذن بها شافعي المذهب.[٤١]

واشتملت بعض المدارس على أكثر من مؤذن مثل "المدرسة الشرفيّة" حسب رغبة واقفها، حيث اشترط أن يكون هناك مؤذنين للمدرسة ينادون للصلاة على عتبة بابها.[٤٢]

٦- الناظر: وهو عادة ما يكون مدير المدرسة وناظر أوقافها وهو الذي يشرف على الوقف، وربما يكون الناظر صاحب الوقف أو المُدرس أو مشرف آخر.[٤٣] وهناك شروط يجب توافرها في الناظر أهمها: الإسلام، التكليف، كفاية التصرف، خبرة به، قوة به، يضم إلى الضعيف قويٌ أمين.[٤٤]

ويجب على الناظر أن يُنفذ شروط الواقف المدونة في كتاب الوقف ما دامت معتبرة شرعاً.[٤٥] وقد حددت وظيفة الناظر بما يلي: "حفظ الوقف، وعمارة، وإجارة، وزراعة ومخاصمة فيه، وتحصيل ريعه من أجرة أو زرع أو ثمر والاجتهاد في تنميته وصرفه في جهاته من عمارة وإصلاح وإعطاء مستحق ونحوه وله وضع يده عليه، والتقرير في وظائفه".[٤٦] في بعض الأحيان قد يكون متولي النظر هو أحد مُدرسي المدرسة، أي يجمع بين وظيفة التدريس والنظر، كما حدث في المدرسة السلطانية حيث أسند نظرها إلى القاضي زين الدين أبو محمد عبد الله الأسدي قاضي القضاة بحلب، وكان يدرس بها المذهبين الشافعي والحنفي.[٤٧] ويمكن أن يكون للمدرسة ناظرين يتوليان مهمة النظر في مدرسته مثل المدرسة الظاهرية حيث فُوض الملك الظاهر غازي النظر فيها إلى "بهاء الدين بن شداد وشرف الدين أبي طالب بن العجمي"، وشرط أن يكون مشاركا للقاضي بهاء الدين مدة حياته وأن يستقل بها بعد وفاته ثم لعقبه.[٤٨] ولاحظنا أيضا في مدارس حلب مثل المدرسة الصاحبية مع ابن شداد فقد كان مدرسا وصاحب المدرسة والمشرف عليها وكذلك ابن العجمي فعل في مدرسته الشرفية.

٧- القيّم والفرّاش "المستخدم": يوجد في كل منشأة سواء كانت مسجدا أو مدرسة طائفة من صغار الموظفين الذين يتعهدون بتنظيف المدرسة وإنارة مصابيحها وتوزيع المؤونة على الطلاب والهر على مراقبتهم. وقد يكون في المدرسة قيّم أو أكثر حسب احتياج المدرسة. (٤٩)

٨- البواب: جرت العادة في مدارس مصر والشام أن يكون لها بواب لتنظيم الدخول والخروج بها، ودفع من يرتاب إليها ومن يكثر الدخول لغير الحاجة، وكان من حقه المبيت بقرب الباب بحيث يسمع من يطرقه عليه وإغلاق الباب ولا يفتح بابها إلا في وقت معلوم. (٥٠)

بالإضافة إلى هذه الوظائف كان يوجد وظائف أخرى مثل مباشري الإدارة وعملهم ابتياع ما يحتاج من الأصناف، وضبط ما يدخل منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق في استخراج الأموال، ومباشري الصندوق والرباع وإليهم يرجع تحرير الأوقاف في الخلق والسكون والتعطيل واستخراج الأموال ومحاسبة المتأخرين وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشري الإدارية، وأيضاً كان يوجد وظيفة مباشرة العمارة الذين كانت وظيفتهم القيام بالإصلاحات المعمارية اللازمة من ابتياع الأصناف واستعمال الصنّاع وغير ذلك. (٥١)

- طلاب المدارس: يعتبر طلاب المدارس هم الأساس الذي تقوم بهم العملية التعليمية ويصبح للمدرسة وجود، وقد حرص بُناة المدارس أو الواقفين عليها تحديد عدد الطلبة في كل مدرسة وقد اختلف ذلك حسب المدرسة فإن كانت مدرسة سلطانية فهي أكبر حجما واتساعا وأكثر وقفا، فلذلك يكون عدد الطلاب أكثر، أما المدارس غير السلطانية فهي أقل حجما واتساعا من الأولى فيكون عدد الطلاب بها محدودا، وفي بعض المدارس لم تحدد عدد طلابها، ولكن عدد الطلاب يتوقف على زيادة ريع الوقف أو نقصانه، فكلما زاد الريع زاد عدد الطلبة وكلما نقص الريع من جراء ذلك نقص عدد الطلبة. (٥٢) و لم نعثر في أغلب المصادر على عمر محدد لطالب من أجل دخوله المدرسة، ولا سنوات الدراسة التي سوف يقضيها في المدرسة ولكن كان هناك طلاب منتظمون، وطلاب غير منتظمين وطلاب الرحلات العلمية أو الغرباء، وسوف نتحدث عنهم بشيء من التفصيل.

أ- الطلاب المنتظمون: وهم الطلبة النظاميون الذين رتبوا على حسب ما تقتضيه حجة وقف كل مدرسة على حدة، ويحتمل أن عددهم كان معروفا ثابتا بشرط الواقف، ولكن لم يكن عدد الطلبة محدد بشكل دقيق، فقد حدد واقف المدرسة الظاهرية عدد الطلاب بخمسة عشر فقهياً.[٥٣] وعليه يمكن تصنيف الطلاب المنتظمون من خلال تصنيف السبكي لطلاب المدرسة على قدر طبقاتهم[٥٤] وهم:

١- فقهاء المدرسة: وهم من طلاب المرحلة الأولى بالمدارس الإسلامية وعليهم قدر زائد من غيرهم في الالتزام بشروط الوقف من ناحية الانتظام في حضور الدرس والالتزام بقواعد المدرسة الخاصة بسلوك الطالب أثناء الدرس وغيرها من القواعد الأخرى المتعلقة بحياة الطالب داخل المدرسة. [٥٥] ويقول السبكي [٥٦] بهذا الصدد: "وعليهم التفهم على قدر إفهامهم، والمواظبة ومن أقبح ما يرتكبونه، تحدث بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة، فلا هم يقرؤون القرآن، ولا هم يسلمون من اللغو في الكلام، فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الواقف عليهم، وأن حديثهم في الغيبة فقد جمعوا محرمات، ومنهم من لا يصغي للمادح، وربما فتح كتابا ينظر فيه، ولا ينظر لما يقوله المدرس، بل يجلس بعيدا عنه بحيث لا يسمعه. وهذا لا يستحق من المعلوم شيئاً، ولا يفيده أن يطالع في كتاب وهو في الدرس فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما اشترط عليه الحضور.

٢- المنتهي من الفقهاء: عليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه. فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهى إليه لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها.[٥٧] وهم طلاب المرحلة الثانية وعليهم قدر زائد على طلبة المرحلة الأولى من ناحية الاستماع للمدرس والمشاركة بعد ذلك في الدرس بالحوار والمناظرة مع المدرس وكان المعلوم الذي يتقاضونه أكبر من طلاب المرحلة الأولى.[٥٨]

٣- المفيد: وهو من طلاب المرحلتين السابقتين إلا أنه قد ارتقى عليهم بعلمه وبالطبع فإنه كان أكثر منهما مشاركة في الدرس من ناحية الحوار والمناظرة،[٥٩] ويقول السبكي[٦٠] عنه:

"عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس من فائدة، من حيث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك من أوضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها، وكان أخذه العوض في مقابلتها حراما". وربما كان المفيد بمثابة طالب دراسات عليا يقوم بإجراء مزيد من الأبحاث أكثر مما يقوم به الطلاب العاديين، وبذلك فهو رشح لتولي وظيفة المعيد.(٦١)

٤- شيخ الرواية: وعليه أن يسمع المحدثين، ويستمع لما يقرؤونه لفظةً لفظة، بحيث يصح سماعهم، وليصبر عليهم، فإنهم وفد الله تعالى، ومتى وجد جزء حديث أو كتاب شيخ بروايته كان فرض عين أن يسمعه.(٦٢) وشيخ الرواية أرقى رتبة في المدارس الإسلامية يمكن للطالب الوصول إليها إذ كان نشاطه العلمي قد تعدى حدود الدروس التي كان يتعلمها في المدرسة، وقد بدأ السعي بنفسه وراء كلام يتعلق بالعلم الذي يدرس من الكتب والعلماء، سواء كان ذلك داخل المدرسة أو خارجها. (٦٣)

ب- طلاب غير منتظمين: وهم الذين كانوا يحضرون مجالس العلماء بالمدارس بصفة غير منتظمة على حسب ما تقتضيه في ذلك ظروفهم، ولذا فإنه لم يكن بالضرورة أن يشملهم شرط الواقف من حقوق أو واجبات. (٦٤)

ج- طلاب الرحلات العلمية أو الغرباء: وهم الطلاب الذين يقومون برحلات من أجل أخذ العلم عن مشاهير بلده، والانتقال من بلد لآخر من أجل مزيد من العلوم، وقد كثر في المدن الأيوبية في مصر القاهرة والإسكندرية وكذلك مدن الشام مثل دمشق وحلب وغيرها عدد هؤلاء الطلاب وكان معظمهم من المغاربة والأندلوسيين، وكان هؤلاء الطلاب الغرباء يقيمون بالمدارس لما تمتاز به من خدمات خاصة بالطلاب ووجود أجل العلماء فيها، وهؤلاء الطلاب لم يكن لهم سن معين وكانوا ينتفعون من الخدمات المتوفرة لطلبة المدارس.(٦٥)

- أساليب التعليم: تنوعت أساليب وطرق التدريس في المدارس الأيوبية، وكانت تتبع أسلوب متشابه إلى حد ما في كل مدارس ذلك العصر، ولا يوجد مصدر تاريخي مباشر يعطينا فكرة

واضحة عن هذه الطرق والأساليب، وإنما من خلال الاعتماد على بعض الكتب المتأخرة، وكذلك بعض الإشارات في المصادر الأيوبية يمكن استخلاص بعض هذه الأساليب، وكان هناك عدة أساليب للتدريس فمنها: الحلقة، والمجلس، والإملاء والتلقين وغيرها. وكان يرافق بعضها الآداب الخاصة بالطلاب والمعلمين وسوف نتحدث عن كل طريقة على حدة.

أ- الحلقة: وفيها يجلس الشيخ أو المدرس على حشيّة صغيرة (شلته) أو على منصة، ويغلب أن يكون ظهره إلى حائط أو سارية من سواري المسجد، ويكون الحضور حلقة أمامه، ويكون هو في أبرز نقطة في محيطها، ويجلس المستمعون في الحلقة بترتيب دقيق، لكل طبقة منها مكان معين فيها، [٦٦] وقد وصف ابن جماعة[٦٧] (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) ذلك إذ قال: "وقد جرت العادة في مجالس التدريس بجلوس المتميزين قبالة وجه المدرس أو المبجلين من معيد أو زائر عن يمينه أو يساره وينبغي للرفقاء في درس واحد أو دروس أن يجتمعوا في جهة واحدة ليكون نظر الشيخ إليهم جميعا عند الشرح ولا يخص بعضهم في ذلك دون بعض". يستدل من النص السابق أن نظام الجلوس بين يدي المدرسين دقيق بحيث لا يأخذ شخص مكان شخص آخر. وربما جاء اسم الحلقة من التحليق حول المدرس، وكانت هذه الحلقات قليلا ما توجد في المدارس بسبب نظام القاعات وربما كانت هذه الحلقات تُعقد في حرم الصلاة في المدرسة أو في القاعة نفسها.

ب- المجلس: نظام المجلس هو من أنظمة التعليم في المرحلة العليا إلى جانب نظام الحلقة، وكانت المجالس تعقد في قصور السلاطين والأمراء والوزراء وبيوت العلماء وفي المدارس والبيمارستانات وخزائن الكتب، لأن بعض العلماء لا يريدونها في المساجد، وكان مثل هذا النظام متبع في المدارس، وكانت هذه المجالس تنقسم إلى عدة أقسام منها مجالس الوعظ، ومجالس المناظرات، ومجالس التدريس، ومجالس الإملاء. ويهمنا من هذه المجالس مجالس التدريس وهي تختص بالتدريس سواء الفقه أو النحو أو الأدب، وهي تعقد في المدارس وخزائن الكتب وتكون مقصورة على الطلبة المسجلين في المدرسة، وربما كان الأسلوب المتبع في الدرس هو الحوار والنقاش من خلال القراءة وكان الدرس يستمر أحيانا ثلاث ساعات.[٦٨]

- طرق التدريس: اعتمد التدريس في المدارس الأيوبية عادة على الإلقاء والسماع والتلقين والإملاء والقراءة، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه خاصة في المرحلة الأخيرة،[٦٩] ونذكر من هذه الطرق:

أ- السماع: كان التركيز في التعليم في القرون الأولى على السماع وحده، لعدم توافر متطلبات الكتابة والتدوين في المجتمع الإسلامي آنذاك وكراهية الناس كتابة ما يروونه خوفاً من أن يشتبه ذلك مع ما يكتبونه بالقرآن، وصعوبة الحصول على الورق اللازم للكتابة،[٧٠] والسماع هو سماع لفظ الشيخ إملاءً أو تحدثاً،سواء كان من حفظه أو من كتاب، وهو أرفع طرق التدريس، وهي طريقة تلازم طالب العلم في بداية حياته العلمية لأنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى عال من العلم دون السماع من كثير من العلماء.[٧١]

ب-الإملاء: وهي من الطرق المحببة في التدريس ويصفها السمعاني[٧٢] (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) بقوله: "إذا أملى عليك المحدث وكتبت أنت من لفظه فلا يتطرق إليه نوع من الفساد لأنه يعرف ما يملي وأنت تسمع وتفهم ما تكتب". ازدادت أهمية الإملاء عندما استخدم الورق وأصبح من أعلى مراتب التعليم، ونتيجة لطريقة الإملاء اشتهرت كتب الآمالي، التي هي عبارة عن محاضرات يمليها الشيخ أو المدرس على تلاميذه في مسجد أو في مدرسة، وكان المستملي يكتب أول الصفحة "مجلس إملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا".[٧٣] ويستحب للمملي أن يقعد على موضع مرتفع مثل دكة أو كرسي فإن لم يجد أملي قائماُ لأن المقصود من الإستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين.[٧٤]

ج- القراءة: وهذه الطريقة يوجد لها أسلوبان: الأول يقرأ العالم من كتاب أو من أصل حفظه، وطلبته يستمعون إليه، والعالم في هذه الحالة يجب أن يكون صوته مرتفعا حتى يسمعه كل من حضر مجلسه. والثاني هو أن يقرأ طالب العلم على العالِم كتابه أو مسموعاته، وهو يسمع بحضور طلبة العلم، وهذا يسمى العرض، والعالم أثناء قراءة الطالب يعلق عليه ويشرح ما يمكن شرحه ويحتاج إلى ذلك، وقد يعترض على بعض ما لم يكن له علم بها.[٧٥]

د- المناظرة والمناقشة: وكانت تقوم على أساس الأسئلة والأجوبة، والمدرس يقوم أحيانا مقام السائل، فيلقي على الطلاب بضعة أسئلة ليختبر فهمهم، وليجيب بنفسه على ما تعسر عليهم أن يجيبوا عنه، وهو بهذا يعطي فرصة للطلاب محدودي المواهب أن ينتفعوا بما تستدعيه هذه الأسئلة وأجوبتها من إعادة للموضوع وزيادة بسط لمسائله.(٧٦) وربما يدخل ضمن هذه الطريقة المذاكرة والتسميع، وكانت المناقشة بشكل عام تطرح موضوع معين ويقوم المدرس بأخذ آراء وأجوبة الطلبة ثم يصححها ويعطي الجواب الصحيح، وربما كان يقوم فيها نوع من الجدل لاختلاف الآراء واختلاف أجوبة الطلبة.

- آداب الدرس: يفتح الدرس عادة بالبسملة ثم قراءة شيء من كتاب الله تعالى تبركا وتيمنا وبعد ذلك يدعو لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي وعلى آله وأصحابه، ويترضى على أئمة المسلمين ومشايخه، ويدعو لنفسه وللحاضرين ولوالديهم أجمعين وللواقف، وكانت الدروس والمواد تقدم حسب الأشرف منها فالأشرف والأهم فالأهم فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل، وكان بعض العلماء الزهاد يختتم الدروس بدرس رقائق يفيد به الحاضرين، وإن كان هناك شروط من الواقف في العلوم التي يجب أن تدرس فيها اتبعها ولا يخل بما هو أهم ما بنيت له تلك البنية ووقفت لأجله.(٧٧) وينبغي ألا يطيل في الدرس تطويلا يمل ولا يقصره تقصيرا يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل ولا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضع ذلك، فلا يقدمه عليه ولا يؤخره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك وترجحه.(٧٨) وكانت هناك بعض الآداب المتعلقة بالطلاب من حيث الاستماع وعدم مقاطعة المدرس والتأدب في الجلوس والكلام وعدم التأخر عن الدرس وعدم مغادرة الدرس قبل انتهاء المحاضرة وغيرها من الآداب المتعلقة بالطلبة والمدرسين.

- علاقة الطلاب بالأساتذة: كانت هنالك علاقة قوية بين الطلاب وأساتذتهم ولعل ما اشترط في المدارس من صفات وقدرات توضح لنا أن هؤلاء الأساتذة كانوا نموذجا طيبا للعلاقة الطيبة مع

الدارسين فقد كانوا يطلبون منه أن يكون ملما بالعلوم وأن يكون كثير البحث مع طـــول أنـــاة ليتسنى له دراسة نفسية من يعهد إليه، ويستطيع بالتالي النزول إلى مستواه ويعمل على الاتصـــال العاطفي معه.[٧٩] على أنه لم يكن يهتم بإلقاء الدروس فقط وإنما تعده ليصبح المـــربي والمعلـــم والناصح لطلبة، وكان المدرسون في المدارس نموذجا يحتذي بهم علماً وعملاً فلم يكن تـــأثيرهم وعلاقتهم بالطلبة تتوقف عن الأثر العلمي، وإنما كانت أخلاق هؤلاء المدرسين نبراساً وهـــدى سار عليها الطلبة في حياتهم فخرجت هذه المدارس نماذج طيبة من العلماء الذين لعبوا دورا كبيرا في الحياة السياسية والدينية وحتى الحربية وخاصة أثناء الحروب الصليبية وما بعدها.[٨٠]

- الإجازة: وتعني أن طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه، وتستحسن الإجازة إذا علم المجيز ما يجيز وكان المجاز له من أهل العلم، والإجازة ليست خاصة بالمحدثين، وإنما اشتملت علـــى بقيـــة العلوم، وكانت هذه الإجازات بمثابة الشهادات التي تمنح اليوم للطلاب، فلا يستطيع أي طالـــب علم أن يروي أي علم من العلوم إلا بإجازة من العلماء الذين أخذ منهم، وتكون مثـــل إعطـــاء العالم كتبه أو بعضها لطالب العلم، ويعطيه إذنا بروايتها، أو إجازة العالم لطالب العلم أو غـــيره من العلماء برواية جميع قراءاته ومسموعاته.[٨١]

وتكون الإجازة بوصول الطالب إلى مرحلة يقتنع أستاذه عندها إنه أصبح أهلا لأن يجلـــس مجلس الأستاذ، فيمنح بذلك الإجازة، ولا يصل الطالب إلى مرتبة الفقيه إلا إذا أمكنه أن يعترض على أستاذه ويصير إلى حالة تمكنه فيها أن يقول له: لِما؟ ويُحسن الاعتراض عليه، وقد تنوعـــت هذه الإجازات: فمنها ما يمنح للطالب يجيزه بتدريس المواد التي أجاد دراستها، وينص في الإجازة على هذه المواد، وأعتاد الأستاذ أن يثني على تلميذه في إجازته،[٨٢]

وقد يجيز الأستاذ تلميذه بالتدريس والفتوى معا. كما أجاز ابن دقيق العيد تلميذه "عمر بن المفضل" وكان ابن دقيق العيد يتأنق في إجازاته قال بعد سؤال شمس الدين له بالإجازة: أستخير الله تعالى في الإيراد والإصدار، واعتصم به من أفتي التقصير والإكثار، واستغفر الله فيما فـــرط في الجهر والإسرار، وأقول: أني ذاكرت فلانا زيّنه الله بالتقوى، وحرسه في السر والنجوى، في فنون

من العلوم الشرعية: العقلية والنقلية، فألفيته يرجع إلى عقول صحيح، ومنقول صريح، وإطلاع على المشكلات، واضطلاع بحل المعضلات، لاسيما في فقه المذهب، فأنه أصبح فيه كالعلم المذهب، وقام بعلم العربية والتفسير، فصار فيها الفاضل النحرير، وقد أجبته إلى ما التمس، وأن كان غنيا بما حصل واقتبس، فليدرس مذهب الشافعي لطالبيه، وليجب المستفتي بقلمه وفيه، ثقة بفضله الباهر، وورعه الوافر، وفطرته الوقادة، وألمعيته النقادة، والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه، ويرفعنا بذلك لديه فما القصد سواه.[٨٣] وقد تكون الإجازة بالفتوى فحسب، أو براية الحديث، كما أجاز السلفي لعلي بن يوسف القفطي الوزير أن يروي عنه، وقد يجيز الأستاذ لطالبه أن يروي عنه، وقد يجيز الأستاذ لطالبه أن يروي مصنفاته، أو يروي مسموعاته، أو أن يدرس كتابا بعينه، قد درسه عليه، وهناك شهادات للعلماء بقراءة الطلبة عليهم مادة بعينها،[٨٤] وما كانت هذه الشهادة تصل إلى درجة الإجازة، والغالب فيما يمنح من الإجازات أن يكون قصيرا أو قد تطول الإجازة حتى تصبح قريبة من كراستين، كهذه الإجازة التي منحت لابن شداد، وفيها يذكر كل شيء بالتفصيل.[٨٥]

رابعاً: المنشآت الرئيسة بالمدرسة:

أ- قاعات الدرس: وجدت هذه القاعات في كل المدارس الإسلامية، وكانت هذه القاعات مناسبة لعدد الطلبة المنتسبين لكل مدرسة، وكان الإيوان هو الذي يراد به قاعات الدرس وهو لغة البيت المرتفع البناء غير مسدود الوجه، أي أن قاعة مسقوفة بقبوه مفتوح مقدمها على بهو يعقد، وربما وجد في المدارس أيضاً قاعات مغلقة. وكان يوجد بالمارستان أيضاً قاعة محاضرات.[٨٦]

ب- مساكن الطلبة: أدى ازدهار العلم وازدياد أعداد الطلاب إلى إقامة مراكز خاصة بالتعليم كان الهدف منها أن تستوعب هذا الكم الكبير من الدارسين والطلاب، وكانت هذه المساكن تختص بالمدرسين والطلبة أيضاً بالإضافة إلى خدم المدرسة، وكان المدرسون يسكنون في المدارس، وهذه الدور لعبت دورا بارزا في استقرار أحوال المدرسين فقد كان المدرس قريبا من مكان درسه ويخفف ذلك عنه كثيرا من العناء، وكانت هذه المساكن من مفاخر المدارس وكانت هذه

المساكن تضم الطلبة أيضاً وهذا ما دفع كثير من الطلاب من القرى والبلاد البعيدة إلى الالتحاق بالمدارس لتوافر كل متطلبات التعليم من علم وعلماء ومدارس ذات شهرة واسعة وتوافر المسكن وكذلك وجد المرتب نتيجة الوقف السخي على هذه المدارس.

وعُني السلاطين الأيوبيون ومن قبلهم الزنكيين والفاطميين بإنشاء دور لسكن الطلاب والمدرسين ومن ضمن ذلك ما ذكره ابن العجمي (ت٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) "من أن نور الدين عندما ملك مدينة حلب سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، حول مسجد السراجين إلى مدرسة حدد فيها مساكن يأوي إليها الفقهاء وديواناً"، أما عن كيفية بناء هذه البيوت فقد كانت غرفا صغيرة بعضها من طابق واحد ومعظمها من طابقين وعددها يتفاوت من مدرسة لأخرى ولكنه يتناسب مع حجمها ومع سعة بهوها وبيت صلاتها.(٨٧)

ج- بيت الصلاة: كان للمدرسة الإسلامية وظيفتان متلازمتان هما الدراسة والصلاة بحيث لا تخلو مدرسة إسلامية من بيت للصلاة، وقد كان جدار القبلة هو العامل الرئيس في تخطيط المدارس جميعها وحدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع وبذلك فإنه يوجد في هذه المدارس بيت للصلاة وأن هذا البيت يتصدر بناؤها وأنه أكثر قاعاتها أهمية واتساعا.(٨٨)

د- الحمامات: ألحق مؤسسي المدارس في العصر الأيوبي حمامات بمدارسهم من أجل أن يستحم بها المقيمون في المدرسة، وكذلك المدارس التي شهدها ابن جبير في الإسكندرية إذ قال: "واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتخصيص حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك".(٨٩) والأمر نفسه ينطبق على مدارس حلب.

ه- المارستان: كما اهتم مؤسسو المدرس الأيوبية بالطلبة والمدرسين من الناحية الصحية فأنشأوا المارستانات وألحقوها بالمدارس، وقد ذكر ابن جبير عن المارستانات التي ألحقت بالمدارس "ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم".(٩٠)

خامساً: التنظيمات المالية في المدارس: رغم كثرة المدارس في العصر الأيوبي في مدينة حلب، فإنه لم يكن هنالك إشارات واضحة في المصادر التاريخية تعطينا معلومات حول فيما إذا كان للدولة الأيوبية سياسة معينة في إنشاء المدارس، ولكن وثائق وحجج الوقف والحبس التي أوقفت أو حبست على هذه المدارس كانت بمثابة الدستور أو القانون الناظم لهذه المؤسسات التعليمية سواء في المدارس أو غيرها من المنشآت الوقفية، وكانت حجة الوقف بمثابة القانون الداخلي للمدرسة فهو ينظم أمور هذه المنشأة من خلال الشروط التي كان يوقف المنشأة على أساسها فكانت الشروط الواجب توافرها في المدارس والمعيد وكذلك طبيعة المذهب الذي يدرس بها، وعدد الطلبة والموظفين الإداريين داخل هذه المدرسة، و لم تكن الدولة تعارض ذلك ما دام يتفق مع السياسة العامة للدولة ويمكن تقسيم المدارس إلى مدارس الحكام والسلاطين، ومدارس الأمراء والأميرات، ومدارس الفقهاء والعلماء، ومدارس التجار، ومدارس العامة. لكن سوف نتحدث عنها على أساس قسمين رئيسين هما المدارس السلطانية، والمدارس غير السلطانية وسوف نتحدث عنهما كلا على حدا:

أ- تقسيم المدارس:

١- المدارس السلطانية: وهي المدارس التي أنشأها سلاطين البيت الأيوبي وكان أول ما يميزها عن غيرها هو أن أماكن إنشائها كان مختارا بعناية.[٩١] وكان موقعها إما بجوار جامع له من الشهرة والمكانة الواسعة أو بجوار أحد المشاهد الدينية العامة، وإما أن تكون جملة من بناء قديم. أو في أماكن عامة في سوق أو غير ذلك، وهذا يضمن لها البقاء والاستمرار، وتميزت هذه المدارس أيضاً باتساع وعظمة بنائها هذا راجع إلى الأموال التي كانت تصرف على هذه المدارس.[٩٢]

وهذا ما لاحظناه أيضاً في المدرسة الظاهرية في حلب فقد كانت أبوابها فخمة ومزينة بالمقرنصات ولها ثلاث قباب وكانت فخمة البناء،[٩٣] وتميزت كذلك بكثرة أوقافها وغناها وهذا أيضاً ما نلحظه في مدرسة الفردوس والظاهرية البرانيّة والجوانية وغيرها كثير. ولكن هناك سؤال، هل هذه المدارس كانت بني على نفقة الدولة أي من بيت المال أم من أموال السلاطين الخاصة؟

٢- المدارس غير السلطانية: بنيت هذه المدارس من قبل الأمراء والعلماء والتجار والعامة. وجاءت هذه المدارس أقل اتساعا من المدارس السلطانية لأن إمكانيات الأفراد لم تكن مثل إمكانيات الحكومة ويمكن استثناء مدارس الأمراء والأميرات من ذلك لأنها كانت تقارب المدارس السلطانية في اتساعها وبائها لأن السلاطين أغدقوا على أمرائهم في الإقطاعيات والثروة، فأنشئوا المدارس من ثرواتهم الخاصة وأوقفوا عليها الأوقاف مما جعلها لا تقل أهمية وعظمة عن المدارس السلطانية، قام الأمراء في حلب في بناء المدرسة الشاذبختيّة والسيفيّة والحساميّة وغيرها. أما بقية المدارس فلم تكن بإمكانيات مدارس السلاطين والأمراء ولكن موقفيها بذلوا الشيء الكثير لذلك ومثال ذلك المدرسة البدريّة والصاحبيّة في حلب.

ويمكن القول بأن المدارس السلطانية تمتعت بإمكانيات جعلتها أكثر غنى في البناء والأوقاف عنها في المدارس غير السلطانية، وكذلك في الاتساع فقد كانت المدارس السلطانية أكثر اتساعا من المدارس غير السلطانية، وربما راجع ذلك إن الدولة وضعت يدها على المباني العامة التي كانت للدول التي قبلها واعتبرتها ملكا للدولة فشيدت عليها المدارس والمساجد بينما كان أصحاب المدارس غير السلطانية لا يملكون العقارات الواسعة، وإنما قاموا ببناء المدارس حسب طاقاتهم فمنهم من حاكى المدارس السلطانية وقلنا إن هذا ينطبق على الأمراء بينما باقي الطوائف فقد بنوا المدارس في عقارات أقل مساحة وبعضهم أوقفوا بيوتهم وعملوا منها مدرسة أضف ذلك أنهم قلدوا الخاصة.

ب- **الأوقاف:** عرفت جميع المجتمعات القديمة ظاهرة الوقف ولكن بصور شتى، ولعل نظام الوقف الإسلامي يرجع في أساس نشأته - بصرف النظر عن التطورات التي لحقت به- إلى الوازع الديني، حيث أرجعه البعض إلى حديث الرسول: (صلى الله عليه وسلم) "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".(٩٤) ومن هنا عرف الوقف أنه صدقة جارية، أو ما عرف عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قوله لعمر بن الخطاب، عندما أراد التقرب إلى الله بأرض له: "إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرتها" وهكذا كان

الوقف "حبس العين والتصدق بالمنفعة" أي أن أصل الوقف لا يباع ويتم التصدق بريع العين الموقوفة.(٩٥)

ويشترط في الواقف أو المنشئ لمؤسسة خيرية أن تتوفر فيه شروط الأهلية منها: أن يكون الواقف بالغا رشيدا، مالكا ملكية صريحة للعقار الذي يرغب في وقفه، وأن يتمتع بحرية اختيار واسعة النطاق في تأسيسه لمنشأته الخيرية، وأيضاً أن تكون شروط كتاب الوقف غير مخالف لتعاليم الإسلام بأي حال من الأحوال.(٩٦) وأقيمت على الوقف مؤسسات عديدة، منها المؤسسات التعليمية بجميع أنواعها ومؤسسة العلماء والفقهاء، وكانت هذه المؤسسات تعتمد على الوقف كمصدر استقلال مالي دائم وثابت، ولا يتحكم فيه أحد، حيث له شخصية معنوية لا يستطيع أحد أن يوقفه إلا إذا كان الوقف قائما على شرط من بدايته.(٩٧)

ونعمت المدارس الأيوبية في حلب بأوقاف سخيّة وغنيّة، ولكنها بالمقابل تفاوتت في غناها بين المدارس السلطانية والمدارس غير السلطانية، ولكن بشكل عام كان لكل مدرسة وقف يتناسب مع المدرسين والطلبة الموقوف عليهم، بحيث تكفل لهم راتب أو جراية محددة في الشهر سواء كانت أقل أو أكثر المهم كان يوجد مرتب يعين الطلبة ومدرسيهم على مصاريف الحياة. وأول من اهتم بالأوقاف في العصر الأيوبي السلطان صلاح الدين حيث عمد إلى وقف أراضٍ من بيت المال على مختلف المؤسسات الدينية والخيرية، وهي الأوقاف التي كانت بمثابة الأرصاد، وإنما ذكرت أوقاف من باب التجاوز، وسبق صلاح الدين في ذلك الخلفاء الفاطميين، ولكن يبدو أن صلاح الدين قد أخذ هذا النظام عن نور الدين زنكي وليس عن الفاطميين.(٩٨) وكانت أوقافه سخية على المدارس التي أنشأها في مصر وبلاد الشام، وكانت الأوقاف تجارية وزراعية، وقد اقتدى به أبنائه الذين أوقفوا على مدارسهم بسخاء، وفعل ذلك العلماء والعامة الذين قاموا ببناء المدارس.(٩٩)

جدول بأوقاف بعض المدارس الأيوبية في مدينة حلب (٢)

اسم المدرسة	أوقافها
المدرسة الظاهرية	بستان إلى جانبها، حمام خارج باب المقام وسوق داخل حلب يعرف بسوق الظاهر، وضيعة عين إرزة.(١٠٠)
المدرسة الصاحبية	قرية كفر سلوان من عمل إعزاز، وحصة بسوق أنشأه دقماق ويباع فيه الزموط قبلي سوق الحبالين.(١٠١)
المدرسة الجمالية	حمام العتيق ببانقوسا، أربعة أفدنة من النيرب، وأربعة أفدنة في دابق.(١٠٢)
المدرسة الأتابكية	قرية كمنون، ولها محصول وافر (١٠٣)
مدرسة بالجبيل	سدس طاحون الدوير على نهر قويق من جهة القبلة وحصة من رحا المحدثة، وحوانيت بسوق الهوى، وحوانيت بسويقة حاتم، استبدلت عن بيت كان بالقرب من المدرسة المذكورة.(١٠٤)

اهتم صلاح الدين بأحوال العلماء والفقهاء من الناحية الاقتصادية، وذلك لضمان استمرارهم في العطاء فمثلا ذكر "بهاء الدين بن شداد": أن صلاح الدين قد مر على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته، فقرّبه، وجعل له حظا من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءا من مزرعة".(١٠٥)

وتولى ديوان الأحباس النفقة على المدارس، والمقصود بذلك مجموعة المدارس التي شيدها السلاطين الأيوبيين أنفسهم، وأوقفوا عليها أوقافا ينظر عليها ديوان الأحباس من حيث الإيراد والصرف.(١٠٦) وكان هناك إعانات أخرى للمدارس غير الأوقاف مثل الزكاة، والهبات، والإعانات، والصدقات كانت موردا للمدارس ولكنه لم يكن ثابتا، وإنما يرتبط بالأغنياء وكبار رجال الدولة، وهبات وصدقات المحسنين من الأهالي والتجار وغيرهم، وعطاءات السلاطين والحكام والزكاة الشرعية، وهذه مرتبطة بمدى سخاء السلاطين والأمراء وكذلك وفرة الأموال بيد التجار.(١٠٧)

كان للوقف بعض المساوئ حيث كان بعض نظارة الوقف يماطلون المدرسين بدفع رواتبهم وهذا ما دفع أبو شامة (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) إلى ترك المدرسة والاشتغال بزراعة أرضه وعندما

عُوقب على ذلك أنشأ قصيدة كبيرة تبلغ ١٠٨ بيتا نقد فيها نظام الوقف وما جره على المدارس من أبعاد أهل الكفاءة من بين مدرسيها،[١٠٨] وربما جاءت هذه المساوئ في وقت متأخر أثناء الفوضى والضعف وفي حالات خاصة. ومن أبيات قصيدته نذكر:

أيها العاذلُ الذي إن تحرى ... قال خيرا، ونال بالنصح أجرا
لا تلمنّي على الفلاحة، واعلم ... أنها من أحل كسب وأثرى
اتخذ حرفة تعيش بها يا ... طالب العلم، إن للعلم ذكرا
لا تهنه بالاتكال على الوقف ... فيمضي الزمان ذلا وعسرا
إنما تحصل الوقوف لشرير ... ونذل من العلوم مبرا
طالبا جاههم، مجيبا إلى كل ... أمور لهم عكوفا، مصرا
فترى قاضي القضاة ومن ... يذكر درسا، يرعاه سرا وجهرا
قاصدا قربه، فيصغي إليه ... فاعلا ما يريد، نفعا وضرا
وهو المستحق لو أبصروا الحق ... ولكن عموا فيا رب غفرا
إنما كانت المدارس عونا ... لأولي العلم حسب، في الناس طرا
درست في زماننا، إذ تولاها ... أولو الجهل والحماقة قهرا
صدقات الوقوف ينفر منها ... كل حر يأتيه صفوا ويسرا
كيف حال الذي يذل لها ... بالقول، كي يحصل نزرا[١٠٩]

ج–الرواتب: كانت المدرسة الأيوبية تضم عدداً من الموظفين والإداريين والتعليميين، وكان كل موظف من هؤلاء يتقاضى راتباً أو أجراً على عمله داخل المدرسة وكان هذا الراتب يؤخذ من مال الوقف ويكون تحديده من قبل واقف المدرسة ويثبت ذلك في وثيقة الوقف أو أن واقف المدرسة يترك تحديد ذلك إلى متولي النظر. وكانت هذه المرتبات نقدية وجراية عينية، وكان للعميد راتباً ولكنه أقل من راتب المدرس.[١١٠]

وكان للطلبة رواتب وتختلف في مقدارها تبعا للريع المتحصل للصرف منه طبقاً لنظام ترتيب الطلبة على أساس اجتهادهم، وكانت رواتبهم تتراوح ما بين الخمسة عشر درهما إلى الستين درهما،

وكانت رواتبهم نقدية أو عينية ومن الأمثلة على ذلك: ما ورد عند ابن خلان وأخيه عندما قدما إلى حلب "تلقاهما ابن شداد بكل ترحيب وانزلهما في مدرسته وقرر لكل منهما مرتبا عاليا يساوي مرتب الكباء، رغم حداثة سنيهما".(١١١) كان واقفي المدارس يفوضون للمدرس أو الشيخ صرف جوائز للطلبة المتفوقين أو الذين يحفظون كتاباً معيناً. وهذا ساعد على رفع المستوى العلمي للطلبة،(١١٢) كانت المدارس الأيوبية في مدن الشام مثل دمشق والقدس ومدن مصر توزع بعض الإعلانات للطلبة مثل الطعام واللباس ولكن لم نجد في المصادر ذكر لهذه الإعلانات ولكن على اعتبار كانت في عصر واحد فمن الممكن أن يكون هذا موجوداً ولكن أغفلته المصادر.

الخاتمة

قصد الباحث من تلك الدراسة إلقاء الضوء على المدارس الأيوبية في مدينة حلب وقد خلص إلى ما يلي:

أولاً: أن المدارس الإسلامية تعتبر بمثابة مرحلة متطورة وأخيرة بالنسب للمراحل التي مرّت بها المؤسسات التعليمية التي سبقتها. وأن ذلك قد تم في العصر السلجوقي لمحاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني، وقد حققت نجاحاً ملحوظاً في هذا المجال، وأن المدارس في مدينة حلب كانت موجودة منذ الحكم السلجوقي لحلب.

ثانياً: أن المدارس الأيوبية في مدينة حلب قد ساعدت على ازدهار وإحياء علوم أهل السنة، حيث كانت العلوم التي تُدرس في هذه المدارس هي العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وغيرها، وقد نبغ في هذه العلوم عدد كبير من العلماء في حلب وأغنوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم المتنوعة سواءً بالفقه أو الحديث أو غيره.

ثالثاً: كان لتلك المدارس وعلمائها دوراً سياسي في الدولة الأيوبية فقد لعبت هذه المدارس دوراً كبيراً في محاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني، بالإضافة إلى دور علماء هذه المدارس في الحياة السياسية فقد عمل أغلبهم كمستشارين أو وزراء أو رُسل إلى الدول الإسلامية وإلى الخليفة

العباسي ببغداد للحكام الأيوبيين في حلب والقاهرة، اشتهر في هذا المجال أسرٌ بكاملها مثل: "أسرة آل العديم" في حلب وغيرهم.

رابعاً: كما تبين أن المدرسة الأيوبية مؤسسة ضخمة ضمت بين جنباتها عدداً من الموظفين سواء في الهيئة التعليمية والإدارية، ففي الأولى كان هناك المدرس والمعيد والمفيد والمقرئ، وفي الثانية كان الناظر والخدم وغيرهم، أما الوظائف الدينية فهناك الإمام والمؤذن وكان يوجد وظائف أخرى في المدارس.

خامساً: إن طرق التدريس وأساليبه التي كانت متبعة في المدرسة الأيوبية، كانت مبنية على قواعد وأسس تدريس ناجحة وسليمة، فالعلماء المسلمين كان لهم قدم السبق في وضع قواعد طرق التدريس التربوي وذلك بالتدرج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب ومن الواضح إلى المبهم ومن المحسوس إلى المعقول، وبذلك يكون لعلماء المسلمين قدم السبق على الغرب الأوروبي في التوصل إلى أهمية ومهارة الفهم في التعليم باعتبار أنها من أهم الأهداف التربوية.

سادساً: أن الأوقاف التي أوقفت على المدارس والاهتمام الكبير بالأوقاف الإسلامية في هذا العصر، وهو أول عصر في التاريخ الإسلامي يتضح فيه الاهتمام المطلق بالأوقاف المدرسية رغم الظروف السياسية التي أطاحت بالعصر من اعتداء صليبي خارجي وحركة جهاد ومدافعة عن الأوطان إلا أن ذلك كله لم يصرف السلاطين عن الاهتمام بالوقف المدرسي، ولعل أبرز نتائج هذه الدراسة هي الدقة في التنظيم المالي للوقف المدرسي من رواتب وعمارة الوقف والنفقات الإضافية.

الهوامش

[١] ابن الزيات (شمس الدين محمد)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الصغرى والكبرى، القاهرة ١٩٠٧م، ص٢١٤- ٢١٥، زبيدة محمد عطا، مكتبات المدارس "خزانة الكتب" في العصرين الأيوبي والمملوكي، أبحاث ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية من ٢٢- ٢٥ أبريل عام ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢٠٣.

[٢] وجدت في حلب مكتبتان خاصتان على جانب كبير من الضخامة هما مكتبة سيف الدولة الحمداني (٣٠٣- ٣٥٦هـ/ ٩١٥- ٩٦٦م) التي جعلها في عهدة الشاعرين أبو فراس الحمداني والمتنبي، ومكتبة جمال الدين القفطي ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م التي جمع فيها من الكتب ما لا يوصف، وقصد بها الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها، وكانت تساوي خمسين ألف دينار، (الكتبي، قوات الوفيات، ج٢، ص١٩٣، عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩١م، ص٤٦).

[٣] يحيى محمد ساعاتي، الوقف و ؟؟ المكتبة العربية (السلطان للموروث الثقافي)،ط١، مركز الملك ؟؟ للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ؟؟

[٤] ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ الذهب في تاريخ ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟، ط١، دار القلم العربي، حلب ١٩٩٧/، ج١، ص ٣١٠- ٣١٥.

[٥] فريال ؟؟، المدارس ومكتباتها في مصر والشام في العصر الأيوبي (٥٦٧- ٦٤٨ هـ/ ١١٧١- ١٣٥٠ هـ)، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية التربية، ؟؟؟ ، السعودية ٢٠٠٠م، ص ١٧٣.

[٦] حسن ؟؟؟، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ط١، دار الافاق الجديدة، بيروت ١١٩٨٣م، ص ٤٧- ٤٨.

[٧] أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط١١. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٥٢؛ شعبان خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ط١. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م، ص٣٩٨.

[٨] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٣٤م، ص١٧٠- ١٧١.

[٩] ابن جماعة، المصدر نفسه، ص١٧٢؛ المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مجلدان، دار الطباعة المصرية، القاهرة ١٩٨٨م، ج٤، ص١٩٧؛ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص١٦٢؛ فريال الجفن، المرجع السابق، ص١٨٠.

[١٠] محمد ماهر حماده، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م، ص١٦٠.

[١١] السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تح محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٦٧.

[١٢] السيد سيد النشار، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م، ص١٧٧- ١٧٨.

[١٣] محمد ماهر حماده، المرجع السابق، ص١٥٤.

[١٤] أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص١١٤؛ شعبان خليفة، المرجع السابق، ص٤٠٠- ٤٠١.

[١٥] ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، تح عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م، ج٧، ص٣٢٤.

[١٦] السيد سيد النشار، المرجع السابق، ص١٨٢؛ شعبان خليفة، المرجع السابق، ص٣٩٤؛ فريال الجفن، المرجع السابق، ص١٨٦.

[١٧] معيد النعم، ص١١١.

[١٨] زبيدة محمد عطل، المرجع السابق، ص٢٢٠.

[١٩] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص١٦١.

[٢٠] القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي ت٨٢١هـ/ ١٣١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح محمد حسنين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ج٥، ص٤٦٤.

[٢١] السبكي، معيد النعم، ص١٠٥- ١٠٦.

[٢٢] محمد أبو غنيمة، تطور التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥٨م، ص١٩٨؛ هالة عبد الحميد السيد جاد، نظامية بغداد ودورها الحضاري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٨م، ص٩٩- ١٠٠.

[٢٣] ابن جماعة، المصدر السابق، ص٨٧.

[٢٤] أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٢م، ص٧٦.

[٢٥] جورج المقدسي، نشأة الكليات "معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب"، ت محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة ١٩٩٤م، ص٢١٣.

[٢٦] المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٥١؛ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص٢٤٨- ٢٤٨.

[٢٧] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٧٨.

[٢٨] القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٦٤.

[٢٩] السبكي، معيد النعم، ص١٠٨.

[٣٠] سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص١٤٢.

[٣١] ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس دار صادر، بيروت ١٩٧٨م، ج٧، ص٩٠.

[٣٢] كمال بدور، مملكة حلب الأيوبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق ١٩٩٨م، ٢١٥.

[٣٣] المقريزي، الخطط، ج٤، ص٢٥١.

[٣٤] أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر ١٩٩٩م، ص١٤٩.

[٣٥] السبكي، معيد النعم، ص٩٠.

[٣٦] محمد راغب الطباخ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، دار القلم العربي، حلب ١٩٢٥م، ج٢، ص٢٢٣.

[٣٧] المرجع نفسه، ص١٥١.

[٣٨] معيد النعم، ص١٠٩- ١١٤.

[٣٩] فريال الجفن، المرجع السابق، ص٢٧٩.

[٤٠] السبكي، معيد النعم، ص١١٥.

[٤١] الطباخ، المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٣.

[٤٢] أبو ذر، مصدر السابق، ج١، ص٣١٤.

[٤٣] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٨٢- ١٨٣.

[٤٤] أحمد محمد الشويكي، التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح، تح ناصر الميمان، ط١، المكتبة الملكية، مكة المكرمة ١٩٩٧م، ج٢، ص٨٢٦؛ فريال الجفن، المرجع السابق، ص٢٨٠.

[٤٥] فريال الجفن، المرجع السابق، ص٢٨٢.

[٤٦] أحمد محمد الشويكي، المصدر السابق، ج٢، ص٨٢٨.

[٤٧] الطباخ، المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٢.

[٤٨] ابن شداد (عز الدين محمد ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح يحيى عبادة، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٦٠؛ الطباخ، المرجع السابق، ج٤، ص٣٥٥.

[٤٩] محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٢م، ص٦٥.

[٥٠] السبكي، معيد النعم، ص١١٠؛ عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٨٤- ١٨٥.

[٥١] عفاف صبرة، المرجع نفسه، ص١٨٣- ١٨٤.

[٥٢] فريال الجفن، المرجع السابق، ص٣٠٧.

[٥٣] أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٣١٨.

[٥٤] أيمن سلام، المصدر السابق، ص١٥٤- ١٥٥.

[٥٥] المرجع نفسه، ص١٥٥.

[٥٦] المصدر السابق، ص١٠٨- ١٠٩.

[٥٧] السبكي، معيد النعم، ص١٠٨

[٥٨] أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٥٥.

[٥٩] المرجع نفسه، ص١٥٥.

[٦٠] المصدر السابق، ص١٠٨.

[٦١] جورج المقدسي، المرجع السابق، ص٢١٩.

[٦٢] السبكي، معيد النعم، ص١١١.

[٦٣] أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٥٥- ١٥٦.

[٦٤] المرجع نفسه، ص١٥٧.

[٦٥] إبراهيم المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي، ط١، الرياض ٢٠٠٣م، ص٢١٧؛ أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٥٦.

[٦٦] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص٣٨٢.

[٦٧] المصدر السابق، ص١٤٩- ١٥١.

[٦٨] رضوان الليث، الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤، ص١٥٣- ١٥٥.

[٦٩] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٩٠.

[٧٠] أحمد خالد جيدة، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٣٣.

[٧١] رضوان الليث، المرجع السابق، ص١٥٩.

[٧٢] السمعاني، أدب الإملاء والإستملاء، تح شفيق محمد زيعور، ط١، دار أقرأ، لبنان ١٩٨٤م، ص٦٩.

[٧٣] أحمد خالد جيده، المرجع السابق، ص٣٣٤.

[٧٤] السمعاني، المصدر السابق، ص١٦٨.

[٧٥] رضوان الليث، المرجع السابق، ص١٦١- ١٦٢.

[٧٦] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص٣٨٦.

[٧٧] ابن جماعة، المصدر السابق، ص٣٤- ٣٥.

[٧٨] المصدر نفسه، ص٣٥- ٣٦.

[٧٩] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٨٧؛ أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت د.ت، ص١٢٩.

[٨٠] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٨٨.

[٨١] رضوان الليث، المرجع السابق، ص١٦٢- ١٦٤.

[٨٢] أحمد بدوي، المرجع السابق، ص٨٨- ٨٩.

[٨٣] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناجي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م، ج٤، ص٢٥٨؛ أحمد بدوي، المرجع السابق، ص٨٩- ٩٠.

[٨٤] المرجع نفسه، ص٩٠.

[٨٥] ابن خلكان، المصدر السابق، ج٢، ٣٥٤.

[٨٦] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٦٥؛ أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م، ص٨٦- ٨٧، أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٥٧.

[٨٧] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٦٧؛ أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٥٨؛ أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٠؛ أحمد فكري، المرجع السابق، ص١٢١؛ محمد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص١٨٧.

[٨٨]- محمد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص٦٢؛ هالة عبد الحميد السيد جاد، المرجع السابق، ص٧٦.

[٨٩]- الرحلة، ص١٥.

[٩٠]- الرحلة، ص١٥.

[٩١]- المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٩٤ وما بعدها؛ أحمد فؤاد سيد، نظم الحكم والإدارة في العصر الأيوبي بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م، ص٢٨١.

[٩٢]- أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٣٢- ١٣٣.

[٩٣]- عبد القادر الريحاوي، العمارة الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٩م، ص١٣٩.

[٩٤]- الشوكاني، نيل الأوطار (شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار)، ج٦، القاهرة ١٩٢٨م، ص١٨.

[٩٥]- محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م، ص١٥- ١٦.

[٩٦]- جورج المقدسي، لمرجع السابق، ص٤٤- ٤٥.

[٩٧]- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة "دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري" دار القارئ العربي، القاهرة ١٩٩٢م، ص٣٦٦.

[٩٨]- محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط١، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٦١.

[٩٩]- عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٩٢- ١٩٤؛ أيمن سلام، المرجع السابق، ص١٣٦- ١٣٧.

[١٠٠]- أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٣١٨- ٣١٩؛ الطباخ، المرجع السابق، ج٤، ص٣٥٦.

[١٠١]- أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٤؛ الطباخ، المرجع السابق، ج٤، ص٣٩٣.

[١٠٢] أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧؛ الطباخ، المرجع السابق، ج٤، ص٤٠٨؛ ابن الشحنة (محمد بن محمد أبو الفضل ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ حلب، دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤م، ص١٢٢.

[١٠٣] الطباخ، المرجع السابق، ج٤، ص١٣٢- ١٣٣.

[١٠٤] ابن شداد عز الدين، المصدر السابق، ج١، ص١٠٩؛ أبو ذر، المصدر السابق، ج١، ص٣٣١- ٣٣٣.

[١٠٥] ابن شداد بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح جمال الدين الشيال، ط١، القاهرة ١٩٦٤م، ص٩.

[١٠٦] حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٥٧.

[١٠٧] عفاف صبرة، المرجع السابق، ص١٩٥- ١٩٧.

[١٠٨] أحمد بدوي، المرجع السابق، ص٨١.

[١٠٩] أبو شامة، ذيل الروضتين، نشره السيد عزت العطار، ط١، القاهرة ١٩٤٧م، ص٢٢٢.

[١١٠] فريال الجفن، المرجع السابق، ص٤٣٨.

[١١١] ابن خلكان، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩؛ فريال الجفن، المرجع السابق، ص٤٤٢.

[١١٢] فريال الجفن، المرجع نفسه، ص٤٤٣.